المجتمع السعودي يتغير.. ولكن!

بقلم: أ. مكرم محمد أحمد •

يكاد يكون التحدي الأساسي الذي يواجه المجتمع السعودي الآن، كيف يوفق بين ميراثه الثقافي والديني المحافظ وتحديات المعاصرة والتحديث، التي تفرض عليه تغييراً شاملاً في نهج الحياة والتفكير وأساليب الحكم ويأخذ فيه بأساليب العلم، ويقبل بالحوار مع الآخر، الأمر الذي يساعد المجتمع على الاستمرار في النهوض من دون أن ينال التغيير جوهر قيمه الدينية والثقافية أو يمس جوهر النظام القانوني القائم على حكم الشريعة.

ويخوض المجتمع السعودي في ظل حكم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز عملية تغيير شامل وهادئ على جبهة عريضة تبدأ من النظام القانوني إلى النظام التعليمي إلى علاقة المجتمع بالمرأة والطفل، دون اغفال

• خادم الحرمين الشريفين يقود عملية تغيير شاملة وهادئة على جبهات مختلفة دون الإخلال بثوابت وقيم المجتمع السعودي

أهمية التواصل بين الحكم والناس في إطار مؤسسي يعزز دور الشورى في صنع القرار، على أمل أن تسفر هذه التغييرات عن تنشئة جيل جديد مختلف، لا يستطيع فكر التطرف أن يستلب منه قدرته على التفكير المستقل والاحتكام إلى العقل.

وفي الوقت الذي تنفق فيه السعودية الآن ربع موازنتها على التعليم المدني الحديث، تعمل جاهدة على إحداث تغيير أساسي في نظامها القانوني تتعدد فيه مرجعية الفقه الإسلامي لتشمل فقه الشافعية والحنفية والمالكية إلى جوار فقه ابن حنبل تأسيساً على القاعدة الصحيحة التي تقول: «اختلاف الفقهاء رحمة»، مع حرص متزايد على تحديث النظام القضائي بما يحقق العدالة الناجزة ويكفل عدم تضارب الأحكام الشرعية، ويوحد سلطة التحقيق والعقاب في مؤسسات الدولة.

لكن التطور الضخم في حياة المجتمع السعودي لا يزال معلقاً بمسيرة المرأة، التي تشغل الآن ٣٧ في المائة من حجم الوظائف وتتزايد هذه النسبة في التعليم والجامعات

والبنوك، وتمتلك ٦٠ في المائة من حجم ودائع البنوك، وتملك وتدير عدداً كبيراً من المؤسسات الاقتصادية، والتي وصلت في التعديل الوزاري الأخير إلى منصب نائب الوزير، إلا أن المجتمع المحافظ لا يزال يقاوم حقها في أن تقود السيارة.

الجنادرية مهرجان سنوي الهدف منه ربط الأجيال الجديدة التي لم تعرف شظف المعاناة التي عاشها الأجداد بتراثها القديم حفاظاً على هوية الشعب وإحياءً لثقافته وتقاليده الأصيلة، لكن الاحتفال الذي مر عليه الآن ٢٥ عاماً كبر حجمه وتطورت رسالته ليصبح محفلاً ثقافياً مهما زاد من قيمته الانفتاح المتزايد للسعودية على أفكار وحضارات وثقافات الآخرين، حتى إن لم تكن تتوافق بالكامل مع رؤى الداخل السعودي، التي ظهر فيها نور الإسلام، لكنها تسعى الآن إلى تطوير نفسها بصورة متدرجة لا تخل بالتوازن بين الدين والحياة وبين الموروث والمعاصرة، زاد من وقعها أخيراً حماس العاهل السعودي الملك عبدالله لتغيير بلاده إلى الأفضل ورغبته في استثمار إمكاناتها المادية الكبيرة لخلق مجتمع جديد يأخذ بأساليب العلم والتقدم، ينفق ٢٥ في المائة من موازنته الضخمة مليار و٧٠٠ مليون دولار على تحديث التعليم النسبة الأكبر بين دول العالم، ويعطي للمرأة التي تشغل الآن نسبة ٣٧ في المائة من الوظائف فرصة أن تكون شريكاً فاعلاً في تحسين جودة حياة المجتمع، ويحض رجال الدين على أن يكونوا أكثر تسامحاً لأن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، ويسعى إلى تطوير نظامه القضائي القائم على الشريعة، لكي يضم فقه الشافعية والحنفية والمالكية إلى جوار فقه ابن حنبل ، كي يكون التقاضي أكثر يسراً يحقق العدالة الناجزة وتتوافر فيه وضوح الإجراءات على أمل أن يساعد كل ذلك على خلق أجيال جديدة تؤمن بالحوار والمعرفة، يمكن أن تتعايش مع

● ٢٥ عاماً من عمر الجنادرية أتاحت لهذه الإحتفالية الوطنية أن تتطور وتكبر حتى تحولت إلى محفل ثقافي كبير

ثقافة الآخر، تنبذ العنف والتطرف، وتعي المعنى الحقيقي من رسالة الإسلام باعتبارها رسالة عدل وعمران وتعارف وليست رسالة عنف وتطرف، خصوصاً بعد أن تمكن فكر تنظيم القاعدة من الاستيلاء على عقول أعداد كبيرة من هذه الأجيال.

في جنادرية هذا العام كل شيء مختلف، الملك يحضر حفلاً.. يتم فيه تتويج روسيا الاتحادية ضيف شرف للمهرجان هذا العام، ويدخل ضمن فعالياته أنشطة متعددة حول حوارات الأديان والحضارات، تسعى إلى تقديم صحيح الإسلام باعتباره دين تسامح وتعارف يحض على احترام العقل والعلم.

ويطول حضور الملك مع أوبريت غنائي جميل، يحكي تطور الحياة على أرض السعودية، تتداخل فيه فنون العروض المختلفة، تمزج بين المسرح والسينما، ويرقى فيه استخدام تكنولوجيات المسرح الحديث إلى حد الابهار، وتعكس مشاهده قصة التطور في حياة المملكة منذ تمكن الملك عبدالعزيز من توحيدها ابتداء من صحراء نجد إلى أن وصلت حدود المملكة إلى كل أرجاء الجزيرة، وتتتابع العروض في مشاهد غنائية تجري على خلفيات عرض تاريخي يحرك المخرج مشاهده في لوحات تحكي عن حرب التوحيد التي لمت شمل بقاع الجزيرة، والازدهار المتزايد الذي يتعرض لخفافيش الظلام التي تحاول أن تنشر الظلام على «وطن الشموس» عنوان الأوبريت لكن الضياء والعمران المزدهر يبدد خفافيش الظلام في مشاهد يقوم عليها فنانون من الرجال، لكننا نلمح في المشهد الأخير طيف سيدة تظهر على المسرح لأول مرة وقد أسدلت شعرها تعبر المسرح من أوله إلى آخره تحمل طفلها وهي تغني له لحنا جميلاً هادئاً كي ينام في أمان رمزاً لمستقبل جيل جديد يظهر فوق وطن الشموس أرض السلام والأمان.

● نقيب الصحفيين المصريين.